

السرد النسوي العربي - مقاربه في المفهوم والخطاب

د_أحلام معمري

جامعة قاصدي مرباح _ ورقلة

maamriahlem@yahoo.fr

الأدب النسوي بين الرفض والقبول:

لامس الخطاب النقدي العربي قضية الخصوصية و الاختلاف في الكتابة النسوية في سياق طرحه إشكالية ((الأدب النسوي))، فلم يجعل من مشروعية الاختلاف الجنسي و أثره في فعل الكتابة مبحثا مستقلا يسعى إلى استقراء العلامات المميزة و الدالة على الإبداع النسوي و ما يقوم عليه من منظورات فكرية و أنساق جمالية ، إذ أن هذا الخطاب النقدي يمارس غالبته من " طرف الرجال و الذي تحت ضغط إيديولوجية ذكورية مركزية حاول أن يناقش الكتابة النسوية من منظور معايير المساواة على حساب الخصوصية" ، مما شكل عائقا معرفيا له في ظل غياب شبه كلي للممارسة النقدية النسوية التي نجدها لدى قلة من النساء تمثل لها ب "بمى العيد" و "خالدة سعيد" في المشرق العربي "و فاطمة الزهراء أوزرويل" و "رشيدة بن مسعود" في المغرب الأقصى، و "زينب الأعوج" من الجزائر.

إضافة إلى عامل آخر يعيق تشكل هذا الخطاب النقدي النسوي يتمثل في "طبيعة التعامل مع الجسد في الثقافة العربية، التي تقوم بإقصائه تحت ثنائية القداسة/النجاسة" . وإن كان هذا العامل بالذات تحاول الكاتبات تجاوزه و تغيير مفهومه للرأي العام فجعل كتابات المرأة تركز على إظهار جسدها، فهي تكتبه وتعيد الاعتبار إليه بشكل مغاير لما يكتبه الرجل الذي يعتبره ديكورا يزين به عمله - في الغالب - . دون أن ننسى العائق السياسي الذي يجعل الخطاب السياسي في العالم العربي " مهما كانت طبيعة نياته يبقى مسكونا باعتبارات ذكورية قوية " ، وإن كان هذا في بداية الكتابات النسوية ، فالمرأة اليوم خاضت غمار السياسة وطرحت الرؤى الفكرية المختلفة بذات الحدة التي يطرحها الرجل في كتاباته.

في تحديد المصطلح (الكتابة النسوية):

ينبغي في البداية أن نقف عند مصطلح الكتابة النسوية أو النسائية لتحديد مفهومه قبل الخوض في طرح إشكالية بين الرفض و القبول عند النقاد و الأدباء. فعلى الرغم من تداول هذا المصطلح تداولاً كبيراً في اللقاءات و الملتقيات الأدبية فإنه لا يزال غامضاً و مبهماً و يتم تناوله في غياب تحديد مرجعيته النظرية. إن الكتابة النسوية عند البعض تشير إلى أن يكون النص الإبداعي مرتبطاً بطرح قضية المرأة و الدفاع عن حقوقها وإن لم تكن كاتبته امرأة .

و هي عند فريق آخر " مصطلح يستشف منه افتراض جوهر محدد لتلك الكتابة بتمايز بينها و بين كتابة الرجل في الوقت الذي يرفض الكثيرون فيه احتمال وجود كتابة مغايرة تنجزها المرأة العربية استيحاءً لذاتها و شروطها ووضعها المقهور. "

أما الفريق الثالث فيرى أنه " الأدب المرتبط بحركة تحرير المرأة و حرية المرأة و بصراع المرأة الطويل التاريخي للمساواة بالرجل . "

و الأدب النسوي عند فاكس، هو " الأدب الذي تكتبه المرأة مستسلمة فيه لجسدها، و الذي نلمح فيه الكليشيهات الكتابية " .

وقد ظهرت تسميات أخرى للأدب النسوي ابتكرها الغرب ووصلت إلينا، إذ ظهرت في السويد تسمية هذه الكتابات بأدب ((الملائكة و السكاكين))، و هو ما قلده أنيس منصور حين أطلق على ما كتبه المرأة ((أدب الأظافر الطويلة))، كما سماه إحسان عبد القدوس ((أدب الروح و المانكير)) إذ رأى فيه أدبا صوتيا و شكليا تعتني المرأة فيه بالتأثير الرنيني و التخيلي عن طريق اختيار الجملة و العبارة دون التدقيق في الموضوع .

و يفضل محمد جلاء إدريس مصطلح ((الأدب الأنثوي)) و يعرفه بما تكتبه المرأة من أدب، في مقابل ما كتبه الرجل، دون أن يحوي هذا المصطلح أحكاماً نقدية تعلي أو تحط من قدره و يرفض المسميات الأخرى ((كالنسوية))، أو ((النسوي)) و ذلك لأنها تربط هذا الأدب تلقائياً بالحركة النسوية الغربية بكل ما تحمله من سوءات رفضتها المرأة نفسها. كما أنه يوقع خلطاً في المفهوم، إذ يوحي بأنه الأدب الذي يتناول قضايا المرأة على نحو ما نجده في (أدب الطفل) .

وفق هذا التحديد المعرفي لا نقر بمصطلح "النسائية" لأنه لا يحمل توجهها فكرياً محدداً غير أن مفرزة خطابها امرأة، كما أن مصطلح "الأنوثة" له علاقة بالبيولوجي أي بالجنس (ذكر-أنثى) وهو ما لم نرتضه، فأثرنا

مصطلح "النسوي" لأنه يتسق في توجهه مع أفكار النقد النسوي الهادف إلى خلخلة الفكر الذكوري السائد ومحاولة بناء خطاب جديد، وهذا ما سعت إليه الكاتبات ولاسيما الحداثيات. وتبقى كلمة "نسوي" أو "كتابة نسوية" مجرد مصطلحات جاءت من الغرب لتفرض هيمنتها على الذهنية العربية، وعلى الرغم من أن كل النظريات النقدية الأخرى جاءت من الغرب -أيضا، يبقى تحفظ النخبة قائما تجاه المصطلح (نسوي).

I- الموقف الرفض لمصطلح الكتابة النسوية:

إن ممارسة النقاد العرب لمسألة خصوصية الكتابة النسوية تكشف عن اختلافات عميقة في وجهات النظر تتراوح بين النفي والإثبات.

أ - الرفض النقدي للمصطلح:

ما تزال "الكتابة النسوية" أو "الأدب النسوي" مصطلحا غير ثابت و لا مستقر بما يثيره من اعتراضات وما يسجل حوله من تحفظات، فالناقدة خالدة سعيد ترفض مصطلح "الإبداع النسوي" من منطلق كون التسمية تتضمن الهامشية مقابل مركزية مفترضة هي مركزية الأدب الذكوري فتري أنه " مصطلح شديد العمومية و شديد الغموض، و هو من التسميات الكثيرة التي تشيع بلا تدقيق...و إذا كانت عملية التسمية ترمي أساسا إلى التعريف و التصنيف و ربما إلى التقويم، فإن هذه التسمية على العكس، تبدأ بتغييب الدقة، و تشوش التصنيف و تستبعد التقويم، هذه التسمية تتضمن حكما بالهامشية مقابل مركزية مفترضة " ، إن المرأة سواء كانت ناقدة أم مبدعة منحازة إلى تجاهل المصطلح برومته وعدم الاعتراف به، من منطلق أن الأدب النسوي هو أدب إنساني بالدرجة الأولى تماما كالأدب الذي يكتبه الرجل، يخاطب الرجل بنفس الدرجة التي يخاطب بها المرأة.

تذهب الناقدة السورية ((سمية درويش)) إلى حد اعتبار " أن تعبير الكتابة النسائية أقرب ما يكون إلى الكلام الدارج أو الخطأ الشائع . "

أما الناقد "حسام الخطيب" فيتأرجح موقفه بين القبول المشروط و الرفض الزمني التاريخي. ذلك أن قبول هذا المصطلح قد ينسجم مع سياق معالجة الأشياء الخاصة بالمرأة. و بهذا فلا يتعلق الأمر - فقط - بالكاتبة كامرأة و منتجة إبداعيا لهذه الأشياء و إنما تصبح المسألة مرتبطة بكل كاتب و مبدع استطاع أن يعالج القضايا الخاصة بالمرأة في إنتاجه الإبداعي (رجل أو امرأة) وهذا التصور جعل الناقد "حسام

الخطيب" يرى أن هناك أدباء كثيرين - و لاسيما من بين كتاب القصص السيكولوجية و الغرامية - أولوا القضايا الخاصة بالمرأة اهتماما مركزيا .

و بهذا المفهوم فإن " الأدب النسوي" لا يعني بالضرورة أن امرأة كتبه بل أن موضوعه نسوي. فطرح المفهوم لا يتم من باب الاهتمام بالمرأة باعتبارها موضوعا و إنما يتخلل المسألة تأسيس و عي جديد من قبلها حول ذاتها و ذات الآخر و محاولة تصفية اللغة من سلطة الرموز القائمة في الثقافة السائدة. فأراء النقاد الذكور لا تقرر بوجود أدب نسوي خالص، لأنه لا توجد ملامح واضحة خاصة بأدب المرأة.

ب- الرفض الأدبي للمصطلح :

يظهر هذا الرفض للمصطلح عند طائفة من الأدبيات، فالأدبية المغربية "خنائة بنونة" ترفض التعامل مع تعبير الكتابة النسائية لأنه يؤدي إلى التصنيف داخل الإنتاج الأدبي.

أما القاصة الليبية "لطيفة القبائلي" فتقول: " بالرغم من أنني لا أوافق على هذا التقسيم الذي يفصل الأدب إلى نوعين.. أدب نسائي و أدب رجالي.. لكن المرأة في كتابات المرأة ليست ذات حضور أحادي الجانب، و إنما هي عبارة عن وجوه اجتماعية متعددة في إطار رؤية فكرية ناضجة ".

و لا تؤمن الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي بالأدب النسوي و تقول في هذا: ((أنا لا أؤمن بالأدب النسائي و عندما أقرأ كتابا لا أسأل نفسي بالدرجة الأولى هل الذي كتبه رجل أو امرأة)).

و تعتبر الأدبية السورية "غادة السمان" أن مجرد الخوض في المفهوم يعد حوارا عقيما فهي ترى أنه ((من حيث المبدأ ليس هناك تصنيف لأدبين نسائي و رجالي)).

بل إن بعض المبدعات يعتبرن إدراج المرأة ضمن مصطلح "الإبداع النسوي"

خسارة كبيرة للأدب فالأدبية "سهام بيومي" تعلق ذلك بكون "عزل كتابة المرأة في نوعية معينة يعد شبيها بعزل المرأة في نوعية خاصة من المشاكل ."

الملاحظ أن واقع التصنيف هو الذي يتحكم في التصريحات عند المبدعات، كما يشكل بعض مظاهر السؤال الذي ينطلق منه النقاد العرب في معاينة هذا المفهوم. فتم تغيب أهم مكون في سؤال "الإبداع النسوي" و هو المتعلق بهذا الموقع الذي أخذته المرأة حين بدأت تكتب فتحوّلت من مفعول بما إلى فاعلة في عملية الخلق و الإبداع و الإنتاج. إذ لا تتم عملية الرفض من النص الأدبي (موضوع

(السؤال)، و إنما من طروحات جاهزة ذات علاقة بواقع المرأة و كأن مصطلح "الإبداع النسوي" ليس شأنًا نصيا و لغويا و إنما هو شأن خارج العملية الإبداعية .

-2- الموقف المؤيد للكتابة النسوية:

أما الموقف المؤيد للكتابة النسوية؛ فتعبر عنه إحدى الكاتبات وهي تتحدث عن علاقتها بمصطلح الكتابة النسوية بقولها: " يعني بشكل خاص كل مصطلح جديد يعبر عن مفهوم الكتابة النسوية، و إن كانت الكتابة نفسها ليست في حاجة للوفرة في استخدام المصطلحات، لأنها كتابة فارقة تعبر عن نفسها، و قادرة على الاستمرار و النمو والتفوق. "

كما يتشكل هذا المصطلح نسويا في ضوء قيمته الانسانية و الإبداعية التي لا تعني بأي حال دونية ما كما يعبر عنها ، و هو ما تعبر عنه حمدة خميس بقولها: ((إن أدب المرأة - واقعا و مصطلحا- ينبغي أن يكون مصدر اعتزاز المرأة و المجتمع و النقاد. إذ إنه يصحح مفهوم الأدب الإنساني الذي يؤكد على قيمة الإنسان و قدرته على تحقيق ذاته. كما إنه يضيف إلى الأدب السائد نكهة مغايرة و لغة و ليدة و يغنيه و يتكامل معه. و هو أيضا خطاب نهوض وتنوير)).

و يجيء التأييد للكتابة النسوية مشروطا بضرورة القراءات التطبيقية لبناء نظرية ثقافية نسوية وتنفي كل ما يتبادر للأذهان من أن الكتابة النسوية صفة سلبية عموما، و هو ما تقر به الناقدات اللواتي يسعين إلى نفي هذا التوهم فـ " بثينة شعبان" تصف العمل الروائي النسوي بأنه ((يعبر عن مدى وعي المرأة لأبعاد العلاقات الاجتماعية و جذورها، و المغزى البعيد للحدث السياسي و نتائجه الممكنة (...)) و فهم ما ساهمت به الحساسية النسائية من إغناء البعد الاجتماعي و السياسي و الموضوعي للعمل الأدبي، يجعل و لا شك من هذه الصفة "نسائي" صفة قيمة، يحق للكاتبات أن يفخرن بها بدلا من أن يخشينها و يتجنبنها)). و تتابع حديثها قائلة: ((علينا أن نبدأ بتحديد سمات الأدب النسائي العربي من خلال دراسة هذا الأدب دراسة جادة و معمقة و هادفة و ليس من خلال ترديد مقولات مستهلكة وعميقة، حينئذ قد تشعر جل كاتباتنا بالفخر لإلحاق صفة نسائي بكتاباتهم، و قد نضيف الجديد والغني إلى الأدب العربي من خلال رفده بأدب نسائي طال إهماله و تجاهله و تشويه منهجه و مغزاه)).

هكذا نلاحظ أن هناك نوعا من اللبس و التذبذب طبع المقاربات النقدية لمصطلح (الأدب النسوي) أو (أدب المرأة) يكشف عن قصور الخطاب النقدي العربي في التنظير لهذا الشكل الأدبي الشيء الذي لا يعني نفيا لوجوده، و إنما هو تأكيد على و جود واقع لم يصل النقد العربي بعد إلى إدراكه عندما يشير هؤلاء النقاد إلى بعض الخصوصيات الحاضرة في الكتابة النسوية.

بهذا فإن المحاولات السابقة المؤيدة والمخالفة للتسمية، لا تعدو أن تكون خوضاً في مسألة يغلب عليها كثير من الافتعال، فالأدب سواء أكتبه الرجل أم المرأة فالمهم فيه مدى تبنيه لقضايا الإنسان من حيث هو إنسان .

الهوامش:

- 1- ينظر: بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية للنشروالإشهار، تونس، د ط، د ت، ص 25.
- 2- ينظر: رشيدة بنمسعود: المرأة و الكتابة (سؤال الخصوصية- بلاغة الاختلاف)، إفريقيا الشرق، المغرب، ط: 2، ت: 2002، ص: 90.
- 3- رشيدة بنمسعود، مرجع سابق، ص: 90.
- 4- محمد نور الدين أفاية: المرأة و الكتابة، مجلة ((الوحدة))، السنة الأولى، العدد 9، حزيران (يونيو)، 1985، رمضان/شوال 1405 هـ، نقلاً عن بوشوشة بن جمعة، مرجع سابق ص 25.
- 5- ينظر: نزيه أبو نضال (تمرد الأنثى في الإبداع النسوي العربي): ملخص أبحاث مؤتمر المرأة العربية والإبداع، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة 26-30 أكتوبر 2002، ص 276 .
- 6- محمد برادة، المرأة العربية و الإبداع المكتوب، ملخص أبحاث مؤتمر المرأة العربية، مرجع سابق، ص: 225.
- 7- أشرف توفيق، اعترافات نساء أدبيات، دار الأمين القاهرة، ط 1، ت: 1998، ص: 10.
- 8- فاكث: النساء الجديديات الجريئات، نقلاً عن: أشرف توفيق، مرجع سابق، ص: 10.
- 9- ينظر: المرجع السابق، نقلاً عن أشرف توفيق: اعترافات نساء أدبيات ص 11.
- 10- ينظر: محمد جلاء إدريس، الأنا والآخر في الأدب الأنثوي، دراسة حول إبداع المرأة في الفن القصصي، مكتبة الآداب-القاهرة، ت: 2003.
- 11- حسين نجمي، شعرية الفضاء السردي المتخيل و الهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب. ص 173.
- 12- درويش (سمية): الطاقة المبدعة هوية، مجلة الكاتبة، العدد الثاني، كانون الثاني/يناير، السنة الأولى 1994 ص 34، نقلاً عن: زهوركرام، السرد النسائي العربي، ص: 93..

- 13- ينظر: حسام الخطيب حول الرواية النسائية في سورية مجلة المعرفة، العدد: 166، السنة 1975 ص80.
- 14- ينظر: زهور كرام، مرجع سابق، ص 94.
- 15- ينظر: زهور كرام، مرجع سابق، ص 94.
- 16- القبائلي لطيفة، عن مجلة تاكي ثقافية تعنى بقضايا المرأة، نقلا عن: زهور كرام، مرجع سابق، ص: 94.
- 17- القدس العربي، السنة الرابعة، العدد، 1076، نقلا عن: زهور كرام ص: 94 .
- 18- حسام الخطيب، حول الرواية النسائية في سورية، مجلة المعرفة العدد 166 ص81.
- 19- بيومي سهام، الأدب النسائي، حجاب لعزلة المرأة، مجلة: الكاتبة، العدد الثاني، كانون الثاني/ يناير، السنة الأولى 1994، ص 37.
- 20- ينظر زهور كرام، السرد النسائي العربي ص 95.
- 21- المرجع السابق المرأة و علاقتها بالآخر، نقلا عن المشهد النسائي الروائي العربي: ثورة سيطرة الرجل أم ثورة على خضوع المرأة، مجلة الجديد في عالم الكتب و المكتبات العدد 17، ربيع 1998 ص 38.
- 22- المرجع نفسه. نقلا عن: حمدة خميس: في مفهوم الأدب النسائي جريدة الجزيرة، العدد 93 88، 1997/2/2 ص 265/264.
- 23- بثينة شعبان: الرواية النسائية العربية، مجلة مواقف، ص 232- 233. نقلا عن حسين المناصرة المرأة و علاقتها بالآخر ص 265.
- 24- المرجع نفسه ص نفسها.